اهم ما يتصف به عز الدين المناصرة في قصائده ، هو « الصورة المجانية » . انه يملك ان يقول اي شيء ، دون ان تترتب على ذلك تجربة فنية مقصودة ومعينة . لقد توفرت هذه الخطيئة في مجموعته الاولى « يا عنب الخليل » ببذخ . ولكنها بالتأكيد جاءت هامشية في المجموعة الثانية . لقد دفعت الغربة عز الدين المناصرة الى رؤيا غاضبة غضبا عفويا يصل حد السذاجة كما في قصيدته « أبي وأبوك وابوه » ، وغضبا ذا سمة ساخرة مريرة وهجاءة ايضا . انه على العكس من الشاعرين الاولين ، يواجه — عبر غربته — لا هم النصر كما قلت ، بل هم الهزيمة والخيبة ، فهو أمام السلطان والسلطة صارخا حينا ، وباكيا احيانا ، ولكنه في الحالتين ينبض بالسخرية الحادة . وهو على الدوام يستمير أبطاله من التراث ، حتى استحالوا شريحة من تجربته الشعرية ، ولكن « مجانيته » تدفعه احيانا كثيرة ، الى تلصيق اسماء كثيرة لا دلالة لها ، ولا علاقة بقصائده مثل : « عبد يغوث الحارثي في المظاهرة — وديدالوس في ذكراه الثالثة — وتصريحات ابن حمديس الفلسطيني — ... الخ » .

ربما تستهويه ، عادة ، الصفة الغنائية في الصورة، فيقع ، او يلجأ الى حماها الصوتية :

« زرعوا الاحجار السوداء
أكلوا ذهب الغياب
وزرعنا عنبا .. وهضاب
فلقينا موت الاحباب »

« وحين تكبر الرؤوس
وعندما يستيقظ النيام
وحين يصبح القطا حمام
اتوب يا مدائن المجوس »

أما محمد القيسي فلا يقع بهذه المجانية ، ولكنه يحتاج لقدرات شعرية هامة غير متوفرة لديه ، ولكنها متوفرة لدى المناصرة بوضوح . ان القيسي، فيه مسحة من الهواجس « الذاتية » ، فهو في خطاب دائم — عبر قصائده جميعها — لقلبه المتعب — او لحبيبته البعيدة ، او لمدينته المفقودة. ولكنه قد يقع فيما وقع فيه المناصرة من المجانية :

« تقاسمتك الدفوف
عشية الحب ماتا
فما أفاد الوقوف
ولا مللت التفافا »

« قد عز طيفك حتى
ذابت جموع الاغاني
صلبت حبنا وصمتا
بكيت مما أعاني »

ان الانفصام بين التجربة وبين اللغة وقدراتها هو الذي يشتت تجربة القيسي الفنية . فيجعلها حارة في مواضيع داخل القصيدة الواحدة ، وميتة طارئة ، شكلية في مواضع اخرى . كما يدفعه ايضا الى استلهام صوت صلاح عبد الصبور — مثل خالد أبو خالد — حينا ، وأصوات ذات ايقاعات شديدة احيانا اخرى .

يبقى كل واحد من هؤلاء — ذوي التجربة الحياتية العميقة — في حدود تجربة فنية ضيقة ، غير كافية لانجاب العمل الابداعي الذي تلتحم فيه كلا التجربتين التحاما عضويا . ان هواجسهم الوطنية ، غير كافية ، لجعلهم « شعراء » فلسطينيين بالمعنى الذي أصبح فيه محمود درويش شاعرا ، وشاعرا فلسطينيا . وليس لهذا التصنيف — طبعا — علاقة بالتقييم النقدي والاخلاقي معا . فان انتسابهم الطبيعي لمناخات جديدة يخلق عندهم هاجسا مختلفا عن الهاجس الذي أصبح ناضجا في أعمال محمود درويش — من ناحية شعرية . ان العمل النضالي قد يتوفر عند أقلهم قدرة على الابداع . وهذا ما أسميته انفصاما بين التجربة وبين قدرة اللغة . ولا يتفرد هؤلاء الشعراء بالضرورة في امكانية تمثيل الشعر العربي الفلسطيني ، ولكن حديثي هذا كان مجرد هوامش حول اربع مجموعات شعرية متوفرة الان في الاسواق .

**فوزي كريم**